سورة البقرة :هكذا سماها الله - تبارك وتعالى - وأطلق هذا العنوان عليها، وكذلك كل سور القرآن سماها الله - سبحانه وتعالى - من عنده، ولذلك مرَّت عبر العصور، وتناقلت بين الأماكن والبلدان، وتتابعت عليها أجيال البشرية، وتعدَّدت فيها نظرات الأئمة الأعلام، ولم يتغير اسم من على سورته، كل سورة باسمها الذي ذكرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وإلى الآن وإلى أن

تقوم الساعة إن شاء الله، وقد دلَّ ذلك على أن الأسماء توقيفية[1] ، أوقفنا الله عليها فلا يجوز لنا أن نبدِّل أو نؤخر، وإن كان العلماء قد أضافوا بعض الأسامي أحيانًا؛ لبيان معنى آخر في السورة، لكن ما قصدوا تبديلًا ولا تغييرًا، رحمة الله عليهم أجمعين.

سورتنا اسمها :سورة البقرة، ويصح أن تقول: قرأت البقرة، وحفظت البقرة، أو تقول: قرأت سورة البقرة[2] ، كل هذا جائز إن شاء الله، ولكن إذا أضفنا كلمة سورة كان أحسن وكان أجمل، وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: السورة التي تذكر فيها البقرة[3] ، هكذا كانوا يقولون عنها.

البقرة حيوان معروف، ولكن لوضعها أو لوضع اسمها عنوان على سورة قرآنية هي أكبر سور القرآن؛ فهذا يشير إلى شيء بلا شك، وله دلالته وله مناسبته:
أما مناسبة تسمية هذه السورة بهذا الاسم؛ فلأن سورة البقرة على طولها من أولها إلى آخرها وعبر آياتها، تحكي تاريخ بني إسرائيل، وهو تاريخ عصيان وعناد وكفر وجحود، وهو تاريخ تطاول على شريعة الله، وتحريف في آيات الله، وإيذاء لرسل الله عليهم الصلاة والسلام؛ ولذلك كان يمكن أن تسمى هذه السورة سورة بني إسرائيل، ولكن الله أحكم، ولكن قول الله أعظم.

لو قيل: بنو إسرائيل، لا ندري إن كانوا ممدوحين أو مذمومين، لكن حين يشار إلى الشخص بما يذمه، فإن ذلك يدل على أن المقصود ذمُّ هذا الشخص، فذكر الله اسم البقرة؛ ليشير إلى قصة البقرة في حياة

بني إسرائيل، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] إلى آخره، ذكر هذه القصة عنوانًا على هذه السورة؛ إشارة واضحة للمتدبرين إلى أن هذه السورة إنما تذكر سيئات بني إسرائيل - وما أكثرها - على طول السورة، وهم قوم عصاة، ظلمة، قتلة، ناقضون للعهد، مخالفون لشريعة الله، لم يتحملوا أمر التوراة، حتى وإن كان الأمر التكليفي يسيرًا جدًّا، ولو كلفهم الله بذبح بقرة من الأبقار أيًّا كانت هذه البقرة[4] ، فما أيسر هذا الأمر، وما أسهله على المكلفين أن يأتوا بأية بقرة - صغيرة أو كبيرة، سمينة أو هزيلة - ويذبحونها، ولكن رأيتم وعلمتم - من خلال قراءتكم للقرآن، وسماعكم للتفسير قبل ذلك - كيف راوَغ بنو إسرائيل في هذا الأمر؛ لئلا يقوموا بهذا التكليف، ولئلا يذبحوا البقرة، رغم سهولة الأمر، حاولوا ألا يطيعوا الله فيه، وألا يتبعوا رسول الله موسى عليه السلام، رغم أن الفائدة لهم، والمصلحة لهم في ذبح البقرة؛ حيث قُتِل فيهم قتيل [5] لا يُعرف قاتله، وحاروا في معرفة القاتل[6] ، حتى لجؤوا إلى موسى عليه السلام، ودين الله هو الحل دائمًا، فسأل موسى ربه، فأمره أن يأمرهم أن يذبحوا بقرةً، وأن يأخذوا جزءًا من هذه البقرة المذبوحة، فهي ميتة يقينًا لا حياة فيها، فقد ذبحوها بأيديهم؛ ليضربوا بها هذا القتيل الذي هو قتيل حقًّا لا حياة فيه، ليست سكتةً قلبيةً، ليس توقفًا مفاجئًا عن الحياة، قد تكون غيبوبةً من علة من العلل، ثم يفيق بعدها، لا بل مات، مات، إذًا سيأخذون جزءًا من بقرة ميتة؛ ليضربوا بها إنسانًا ميتًا - حقيقةً ويقينًا - فيقوم هذا الميت حيًّا بإذن الله تعالى مرةً أخرى؛ لينطق باسم قاتله، ويكشف السر الغامض في هذه القضية، ثم يموت من جديد :﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:

٧٣]، ولكن رغم تعلق مصلحتهم بذبح بقرة من الأبقار - أيًّا كانت - راوغوا وزاغوا، وانتقلوا بموسى من هنا إلى هنا بأسئلة باهتة لا معنى لها، ولا محل لها من الكلام، حتى اضطروا إلى ذبحها اضطرارًا، يعبر الله عنه بقوله :﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]، إذا كانوا بهذا الشكل، إذًا هم قوم مذمومون جدًّا عند الله تبارك وتعالى، مخالفون لمنهج الله مهما كان المنهج يسيرًا، ومهما كان التكليف سهلًا، فما بالنا لو أُمروا بأكبر من ذلك!

ذكر الله أيضًا إجمالًا في سورة البقرة، وتفصيلًا في سور أخرى؛ حيث أمرهم الله أن يدخلوا باب القرية، وفيها من الداخل عمالقة جبارون، قوم ظلمة، بطشتهم شديدة، ولكن ما على بني إسرائيل إلا أن يدخلوا من باب القرية المقدسة، وأن يستغفروا الله تعالى قبل الدخول، أو أثناء الدخول، أو بعد الدخول، الدخول مقترن بالتسبيح والاستغفار :﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾]البقرة: ٥٨[، ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء: ١٥٤]؛ أي: خاضعين لله.

﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾؛ يعني: اللهم حطَّ عنا خطايانا، نستغفرك ربنا من ذنوبنا، بمجرد هذا الدخول سوف يهزم الله العمالقة الجبارين، ويمكن لهؤلاء الضعفاء، ولكن لم يُصدقوا وعد الله، ولم يَطمئنوا لكلام موسى عليه السلام، مع أنه رسول يوحى إليه، وقد أظهر لهم المعجزات، وقالوا لموسى تلك القولة المشهورة المعروفة :﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، فلا يقومون لتكليف سهل، ولا لتكليف صعب، وبالتالي فهذه السورة من أولها إلى آخرها تقصد ذم بني إسرائيل، ولا يشير إلى ذمهم وإلى قبحهم وإلى عصيانهم إشارةً

أحسن من إشارة قصة البقرة، فلا أسهل من ذلك في التكليف، ورغم ذلك عصوا الله تعالى ولم يطيعوه إلا اضطرارًا :﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]، فحين نقرأ نحن اسم البقرة عنوانًا على هذه السورة، لا يرد في خاطرنا غير بقرة بني إسرائيل، ونتذكر بها قصتهم في عصيانهم لله ورسوله موسى عليه السلام، فندرك أن الله قصد بهذا العنوان أني سأقص عليكم تاريخ عصيان بني إسرائيل، ولذلك تجد أول ذكر لهم في السورة حينما صنف الله أصناف الناس في المجتمع المدني، فقال :﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، هؤلاء هم الصحابة رضي الله عنهم، ومن كان على طريقهم مِن بعدهم.

ثم قال :﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٦]، الكافرون الصُّرحاء الذين يصرحون بالكفر ولا يقبلون الإيمان.

ثم قال :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، هؤلاء هم المنافقون المتذبذبون؛ مرةً مع المؤمنين، ومرةً مع قوم سماهم الله الشياطين، مرةً هنا ومرةً هناك، لم يؤمنوا بقلوبهم، ولم يكفروا بظاهرهم :﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]، فكأن شياطينهم يقولون لهم: بل كنتم الآن مع المؤمنين، مع محمد وأصحابه عليه الصلاة والسلام، فيردون عليهم :﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]؛ أي: كنا معهم لنستهزئ بهم، فلا تلتفتوا إلى هذا، ولا تؤاخذونا به.

فيُرضون هؤلاء ويرضون هؤلاء، وما رضي عنهم أحد، فلما ذكر الله الفريق المقابل للمؤمنين في الأول ذكر الكافرين، ولما ذكره في المرة

الثانية :﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤]، قال :﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤]، شياطين المنافقين هم بنو إسرائيل؛ بدليل أن هذه الحركة ذاتها - الترنح بين المؤمنين وبين أهل الكتاب - هي التي كان يعملها بنو إسرائيل، اليهود كانوا يفعلونها، بعد آيات من السورة يقول الله تعالى عن بني إسرائيل :﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٧٦]، هؤلاء بنو إسرائيل ليس لهم شياطين، بل هم أنفسهم شياطين، فقال الله عنهم :﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾]البقرة: ٧٦.[

أنكر بعضهم على بعض جلوسهم مع المؤمنين، فذكر الله بني إسرائيل أول مرة في السورة بوصف الشياطين، وهذا يؤكد ما نقول من أن المقصد من سورة البقرة هو ذم بني إسرائيل، وقصة البقرة وعنوان البقرة على السورة لا أدل منه على عصيان هؤلاء القوم وعنادهم مع الله سبحانه وتعالى.

ولهذا الاسم إشارة لطيفة؛ كما قال الله تعالى في سورة الجمعة :﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥]، وهؤلاء هم اليهود : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]؛ يعني: لا يدري ما على ظهره، لا يدري ما في هذه الأسفار، وهذه الكتب؛ حمار يحمل كتبًا، هل هو عالم بما في الكتب؟ لا، فكان بنو إسرائيل في تحمُّلهم للتوراة كالحمار يحمل أسفارًا، يفتخرون بالتوراة، ويتطاولون، ويتعالَمون على العرب أننا أصحاب

كتاب سابق، ورسالة سابقة، ماذا تعرفون منها؟ أين علومكم من التوراة؟ هل تحفظونها؟ هل تعلَّمتم مدلولاتها؟ هل عرفتم أحكامها؟ هل التزمتُم بهديها؟ أبدًا، فصار مثلهم كمثل الحمار حين يحمل كتبًا على ظهره، فهو لا يدري ما فيها، إنما هو حمل من كتاب كحمل من تراب، لا فرق عند الحمار، وكذلك عندهم أيضًا، لو حملوا التوراة أو كان حملهم للتوراة كحمْلهم شيئًا آخرَ.

هنا أيضًا بوضع هذا العنوان على هذه السورة إشارة لطيفة إلى أن بني إسرائيل في عصيانهم لله، كانوا في قمة الغباء، أو قل: في سفح وأسفل الغباء، فليس للغباء قمة، إنما هو ينزل بالإنسان إلى أسفل، ويرجع به إلى الوراء، لا تقدُّم ولا علو، وأعظم الغباء أو أقبح الغباء أن يُعرض العبد عن ربه، وأن يترك منهج الله عز وجل، هكذا وصفهم الله بالحمار يحمل أسفارًا، وأشار هنا إلى أنهم كالبقرة في عدم الفهم.

وسبحان الله تجد في واقع الناس إلى اليوم - رمز الغباء في بعض البلاد هو الحمار، فإذا أراد أحد أن يصف أحدًا بالغباء المحكم، وصفه بأنه حمار، وفي بعض البلاد يصفونه بالبقرة، ويعتبرون أن الحمار ذكي؛ لأنه يأخذ صاحبه من البيت إلى الغيط، وإن لم يَقُدْه صاحبه، ولو نام على ظهره، فبمجرد أن يخرج به من البيت يعرف الحمار طريقه إلى الغيط، وإذا خرج به من الغيط رجع به إلى البيت، ما شاء الله! حمار ذكي، ويفخر بذكاء الحمار، هكذا فعلًا الحمار إذا مشى في طريق مرةً، عرفه المرة الثانية، فيظنون أنه ذكي، ولكن الأغبى منه البقرة؛ فيشبهون الغبي بالبقرة، والمثلان جمعهما الله تعالى على بني

إسرائيل، ويدخلون بذلك في قول الله تعالى :﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾]الفرقان: ٤٤.[

هذا هو اسم السورة ومناسبته لموضوع السورة، وإشارته إلى ما في السورة من مقصود للرحمن سبحانه وتعالى، هذه السورة باعتبارها تتكلم عن بني إسرائيل، وفيها حديث عن الجهاد، وفيها حديث عن القصاص، وإقامة الحدود، وهذا يحتاج إلى دولة، وفيها حديث عن الحج، وعن الصيام، وتحريم الربا، وكان تحريمه مؤخرًا في حَجة الوداع، وفيها حديث عن المنافقين وهكذا، وأحكام وآداب، هذا يدل دلالةً واضحةً على أن هذه السورة نزلت في العهد المدني؛ يعني: بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، بل أصرح من ذلك، وآكد من ذلك قول أُمنا عائشة رضي الله عنها فيما صح عنها من الحديث» :**وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده**[7] «؛ يعني: وأنا زوجة عنده.

ومعلوم تاريخيًّا وفي السيرة أن عائشة لم تكن زوجةً إلا بعد الهجرة، وإن خُطبت قبلها، لكن تم التزويج بعد الهجرة إلى المدينة، هاجرت وهي عروس، وهناك في المدينة المباركة تزوَّجها النبي صلى الله عليه وسلم.[8]

إذًا سورة البقرة ومثلها سورة النساء سور نزلتا بعد الهجرة، فيقال لها: سورة مدنية، فتتوقع أنها تتكلم عن مجتمع متكامل، وهيكل قائم للحياة الإسلامية، هناك دولة، وهناك زعيم لهذه الدولة، أو أمير وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهناك وزراء ومعاونون كأبي بكر وعمر،

هناك جيش، هناك قوة، هناك معاهدات مع الآخرين وهكذا، كِيان دولي كامل، مجتمع كبير، أكبر ظهور للمجتمع، ليس أسرةً وليس حيًّا وليس فردًا، إنما دولة، فسورة البقرة تشكل منهجًا أيضًا لإقامة دولة، من أراد أن يقيم دولةً سليمةً من أهل السياسة والكبراء؛ فعليهم أن يهتدوا بسورة البقرة في ذلك؛ ففيها منهج عظيم لهذا الأمر؛ قال الله تعالى :﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾]الأنعام: ٣٨.[

اسمها سورة البقرة، والذي سماها بهذا هو الله عز وجل، بينما حينما تدبرها العلماء وقرؤوا فيها، وجدوا فيها أحكامًا جليلةً للمرأة، وحقوقًا عظيمةً يثبتها الله للمرأة المسلمة، ولا مانع أن يقيم الكافرون هذه الحقوق للمرأة الكافرة في مجتمعاتهم، فلو أخذوا بذلك فلا مانع، مرحبًا، فهي حقوق عظيمة للمرأة لا تصل إليها خيالات الناس، ولا يصل إليها فكر جمعيات حقوق المرأة، ولا حقوق الإنسان، ولا حقوق الحيوان، أمر فوق الخيال، أمر حق، أمر قسط، حقوق عظيمة للمرأة المطلقة، والمرأة المتوفَّى عنها زوجُها، وما لها من النفقة وما عليها من العدة، وما إلى ذلك، وكيف تكون خطبتها بعد ذلك، وأمور تهم المرأة في حياتها العامة؛ سواء كانت زوجةً أو غير زوجة، حينما يأتيها الأمر الشهري، وكان اليهود وبنو إسرائيل يعتبرونها في حال الحيض قطعةً من النجاسة، فعليها أن تعتزل الأسرة جميعًا إلى مكان آخر تكون فيه، لا تمس طعامًا من طعامهم، ولا تلبس ملبسًا من ملابسهم، ولا تخالطهم في حياتهم؛ لأنها نجاسة، وتنجس كل ما تلمسه، فكانوا ينبذونها كالشيء القذر يلقونها بعيدًا حتى ينقطع عنها الدم، جاء الإسلام ونفى كل هذا، وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة يومًا من الأيام)) :**ناوليني الخُمْرة [9] من المسجد[10]** ((،

حصير صغير كان يصلي عليه النبي عليه الصلاة والسلام؛ يعني: كسجادة الصلاة في أيامنا، ((ناوليني الخُمْرة))، وليست (الخَمْرة)، فبعض الأعداء يقرؤونها خَمْرةً، ويعلمونها لبعض المسلمين (خَمْرةً)، ويقولون: نبيُّكم كان يشرب الخمرة في المسجد بيد عائشة رضي الله عنها؛ ضلُّوا وأضلُّوا، فلا تنساقوا وراءهم حفظكم الله.

إنما الخمرة المسكرة اسمها خَمْر، اللفظ مذكر ليس فيه تاء مربوطة في آخره :[11] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] عن الخمر.

أما هذه فهي الخُمرة، وهي حصير كان يصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعتذرت عائشة عن إجابة الطلب بحجة أنها حائض، قالت: «إني حائض يا رسول الله»؛ يعني: لا يصلح أن أمسك سجادة الصلاة، وأشياء الصلاة، وأنا في هذا الظرف؛ لأني سأُنجسه.

من أين جاءت عائشة بهذا الكلام في المجتمع المدني؟
من اليهود الذين سكنوا حول المدينة، وبثوا هذه السموم، وهذه الأفكار الباطلة داخل المجتمع؛ حتى تدركوا ماذا يصيبنا من مخالطة غير المسلمين، حينما نخالطهم في حياتهم مخالطةً شديدةً؛ فإنما نتأثر بهم ويبثون فينا سمومًا فكريةً واجتماعيةً، وأعرافًا خاطئةً، وتقاليدَ باطلةً نتأثر بها ونشربها، ونعيش بها في حياة غير صحيحة، لكن خذوا أعرافكم، خذوا تقاليدكم، خذوا عاداتكم من الدين، الله تعالى علَّمنا كل شيء، والنبي عليه الصلاة والسلام بلغنا كل شيء، وما كتم شيئًا أبدًا عليه الصلاة والسلام.

قالت» :**إني حائض**«، فيقول عليه الصلاة والسلام)) :**حَيضتُك ليست في يدك**[12] ((؛ يدك طاهرة، هذا معنى الحديث، يدك طاهرة ولا صلة لها بالدم النازل من الحيض، وبالتالي الجسم كله طاهر، إنما النجاسة فقط في مكان الدم، ولذلك قال الله تعالى :﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، يسألونك؛ أي: الرجال ﴿ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾{؛ أي: عن حكم المرأة أثناء المحيض؛ ﴿ قُلْ هُوَ ﴾؛ هو: الحيض، ومكانه﴿ أَذًى ﴾، أما بقية الجسم، فحلال وطاهر لا شيء فيه، عليها شيء اسمه الجنابة، وهي ليست نجاسة حسية كالبول والغائط، إنما هي كما يقال: نجاسة حكمية لا تُرى ولا تُحس.

هذه جنابة ترفع بالغسل، لكن من لمس جسم امرأته وهي حائض، أو هي لمست شيئًا مما يخصه، فلا تنجس بينهما في شيء من ذلك؛ فالممنوع فقط هو اللقاء بين الزوجين في مكان الدم؛ لأنه يحمل الأذى ويصيب بالأمراض، قد يصيب المرأة، وقد يصيب الرجل غالبًا.

وهكذا يرفع الإسلام قدر المرأة، فلما رأى العلماء ذلك أطلقوا على السورة بجوار اسم البقرة قالوا: من حقها أيضًا أن تسمى سورة النساء الكبرى؛ لأن هناك سورة نساء معروفة، فحملوا هذه السورة اسمًا آخر (سورة النساء)؛ ليميزوها عن السورة الأصلية، قالوا: سورة النساء الكبرى[13] ، ولأن هناك سورةً صغيرةً أو قصيرةً قالوا عنها أيضًا: سورة النساء؛ لأنها كلها تتكلم عن النساء، وعن حقوق النساء أيضًا، وهي سورة الطلاق.

والطلاق يكون من الرجل للمرأة، وقد يقع فيه ظلم غالبًا، فلذلك سموها سورة النساء الصغرى، وهي سورة الطلاق، والبقرة سورة النساء العظمى، وسورة النساء المعروفة باسمها كما سماها الله سبحانه وتعالى.

سورة البقرة سورة لها فضل عظيم، وجلال كريم، عظيم من حصلها، شريف من حملها؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه» :**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**[14] ((، فضمنيًّا هناك شفاعة لسورة البقرة كبقية القرآن، ويكمل الحديث، فيقول عليه الصلاة والسلام» :**اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران**((، و(زهراوين): مثنى - اثنتين - يعني: الواحدة منهما زهراء، وتثنيتهما: زهراوان؛ زهراء يعني: منيرةً؛ فسورة البقرة منيرة، وسورة آل عمران -كما سنعرف إن شاء الله - منيرةً، فيها نور.

))**اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان**((؛ سحابة في السماء، أو قال» :**غيايتان** « سحابةً أيضًا، أو» **فرقان من طير صواف**«؛ ترون الطيور وهي مهاجرة تكون كتلةً واحدةً، ورقعةً واحدةً كالسحابة، جماعةً منتظمةً في شكل واحد كالسحابة أيضًا.

جماعة الطيور، أو السحابة - وهي الغمامة - كلتاهما كأنهما مظلة يستظل الإنسان بها.

))**فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما**((، سورة البقرة وسورة آل عمران تدافعان وتشفعان لصاحبهما يوم القيامة، شفاعةً ثانيةً بعد الشفاعة الأولى.

ثم أتم النبي عليه الصلاة والسلام الحديث؛ فقال)) :**اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطلة** :((البطلة :[15] هم أهل الباطل والسحر والأذى، يقي ربنا سبحانه وتعالى قارئ سورة البقرة، وحافظ سورة البقرة، والمتحصن بسورة البقرة - من أهل الشر جميعًا، مهما كانت قوتهم، فسورة البقرة حصن حصين.

ترى أخي المسلم الكريم أن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر سورة البقرة ضمن قوله)) :**اقرؤوا القرآن**((، فهي من القرآن، هذا ذكر، ثم ذكرها ذكرًا أخص حينما، قال)) :**اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران**((، ثم خصها مرةً ثانيةً وحدها لا يشاركها شيء من القرآن، في قوله)) :**اقرؤوا سورة البقرة**((، ثم وصفها بقوله)) :**فإن أخذها بركة**((؛ بركةً في العمر، أو في الرزق، أو في المال، أو في الولد، أو في البيت، لا مانع من كل هذا، فلم يحدده النبي صلى الله عليه وسلم مما يشير إلى أنه من البركة العامة، يبارك الله بها في كل شيء، وأحسن الظن بالله، ووسِّع رجاءك في الله، يُعطِك الله مما تحب على قدر ما تظن فيه، قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي» :**أنا عند ظن عبدي بي**[16] «؛ معنى الحديث، أو استشهادنا بالحديث: أن مَن ظنَّ أن الله يبارك له في عمره فقط بسورة البقرة، لن تأتيه البركة

إلا في عمره، ومن ظن أن الله يبارك له في رزقه وماله فقط بسورة البقرة، فستأتيه البركة في ماله فقط، وهكذا مَن ظنَّ أن الله يبارك له بسورة البقرة في كل شيء، سيبارك الله له في كل شيء.

»فإن أخذها بركة«: من قرأها في خلال هذين الأسبوعين الماضيين كما تواصينا.
من لم يدرك، فليقرأها هذا الأسبوع، وليَنْوِ حفظها، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، يندم الإنسان في مواقف كثيرة حين يصيبه أذًى، لو أنه كان يحفظ سورة البقرة، لو كان يأخذها ويقرأها، لحفظه الله تعالى، حينما لا يرى بركةً في حياته، يندم لو كان عاقلًا، لو أني أخذت سورة البقرة، لبورك لي في مالي وولدي وصحتي وحياتي وعمري، وهكذا.

»وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة«، وهذا مرض نستطيع أن نسميه مرض العصر، مرض داهم غاشم عام في كثير من البيوت، وأكثر منها من الأشخاص، عافانا الله والمسلمين.

الأسحار والأعمال والمس الشيطاني، أنكره من أنكره، وأقر به من أقره، لكنه واقع، والناس يحسونه ويعانون منه، ولا مجال لإنكاره، فقد صار واقعًا يعيشه الناس، ويعانون منه الأَمَرَّيْن.[17]

سورة البقرة حصانة من هذا الشر العظيم، من هذا المرض الخطير، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في فضل سورة البقرة)) :**من قرأها في بيته ليلًا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال، ومن قرأها نهارًا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام**[18] ((، يمتد

مفعولها إلى ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ؛ إذًا ممكن تقرأ في الأسبوع مرتين فقط، ويحفظ الله بها البيت.

لا تقل بعد ذلك :نعلق حدوة حصان، أو سنبلة قمح، أو خرزةً زرقاء ... أو نحو ذلك من التمائم الباطلة الشيطانية التي يتعلق بها كثير من الناس؛ إنما من أراد حصانةً، فليقرأ سورة البقرة على الأقل مرتين في الأسبوع، يحفظ الله بيته بمن فيه بفضل الله تعالى، واقرأها في ليل أو نهار، كل ذلك متاح لك.

سورة البقرة هي أكبر سورة، وأطول سورة في القرآن كله، وفيها أعظم آية في القرآن، وهي آية الكرسي :﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾]البقرة: ٢٥٥[، آية جليلة عظيمة فيها تقديس وتعظيم لله رب العالمين.

في سورة البقرة أطول آية في القرآن كله، ما من آية في طولها، ألا وهي آية الدين أو المداينة :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾]البقرة: ٢٨٢.[

في سورة البقرة آخر آية أنزلت من القرآن مطلقًا، ولم ينزل بعدها شيء من القرآن؛ كانت ختام كلام الله لنا في القرآن الكريم، نزلت وتوفي النبي عليه الصلاة والسلام بعدها بليال؛ هي الآية الخامسة والثمانون بعد المائتين؛ الآية بعد آيات الربا، وقبل آية الدين :﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾]البقرة: ٢٨١[**[19]** [، الآية الثمانون بعد المائتين.

هكذا لهذه السورة فضائل عظيمة، وفضائل جليلة، وهدفها لخصه بعض العلماء في كلمتين مع طولها، مع عظمها لخصها العلماء في سطر، قال: تدور سورة البقرة حول محورين اثنين، وتركز على نقطتين اثنتين، وكأنها تخاطبنا نحن المسلمين والعالمين من حولنا في هذه الأمة منذ بعثة النبي عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة، تخاطب جميع الناس الموجودين بأمرين اثنين:

الأول :أن بني إسرائيل حملوا رسالة الله، فلم يحملوها، فصاروا كالأنعام، بل هم أضل، وأنتم أيتها الأمة الخاتمة - هذا هو الأمر الآخر - أيتها الأمة الخاتمة حملتم رسالة الله من بعدهم، فلا تكونوا مثلهم، واحذروا أن تفعلوا فعلهم وخذوا الكتاب بقوة.

هذا ملخص السورة، ولذلك كما قلنا في البداية: تجد فيها حديثًا طويلًا من أولها إلى آخرها عن بني إسرائيل، وقبحهم وجرائمهم، وكذلك تجد فيها تكليفات عظيمة، معظم أركان الإسلام - إن لم تكن كلها - موجودة في سورة البقرة، فقد أمر الله فيها بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وفرض فيها الصيام، وفرض فيها الحج؛ قال تعالى :﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، والنساء: ٧٧، والنور: ٥٦، والمزمل: ٢٠]، وقال سبحانه وتعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال تعالى :﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وهكذا فرائض عظيمة.

وفيها تحريم الربا التحريم القاطع :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]، سورة بعظمها تدور حول هذين الأمرين: بنو إسرائيل كانوا قبلكم متنازلين أو معرضين عن شريعة الله، ولم يحملوها كما ينبغي، بل حرَّفوها وبدَّلوها واستهانوا بها، وأهانوا مَن بلَّغهم إياها من الرسل :﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦]، هذا من الأنبياء يفعلون بهم هكذا: قتل وأسر.

الأمر الآخر أنتم أيتها الأمة الأخيرة أيتها الأمة الخيرة :﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ احرصوا على شريعة الله، فلا تضيعوها، ولا تُفوتوها، ولا تلقوها كما ألقاها بنو إسرائيل؛ إذا جاءكم الأمر، فقولوا: سمعنا وأطعنا، ولا تقولوا - كما قالت بنو إسرائيل لموسى -: سمِعنا وعصِينا.

هذا مع أن سورة البقرة مدنية، وسورة الفاتحة مكية، وسورة آل عمران بعدها مدنية؛ إلا أن سور القرآن كلها كالعقد الواحد متناسبةً؛ فإن سورة الفاتحة جاء فيها قول الله تعالى :﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾]الفاتحة: ٦.[

فصل الله مضمون هذا الصراط في سورة البقرة، وماذا علينا أن نفعل؟ حتى ذكر لنا القبلة التي نتوجه إليها؛ الصلاة التي نؤديها، الصيام، الحج، القصاص، المحرم من الربا، أحكام النساء، أحكام اجتماعية، وأحوال شخصية في الطلاق ونحو ذلك، فصل الله :﴿اهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وبالتالي فهذا تفسير لقوله أيضًا : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾]الفاتحة: ٥.[

في سورة البقرة تفصيل آخر لشيء ورد في سورة الفاتحة مجملًا، تقول دائمًا في سورة الفاتحة - وأنت تقرؤها :- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فذكر الله لك في أول السورة أول فريق :﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ *الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ... ﴾ [البقرة: ٢، ٣] إلى آخره :﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، وذكر المغضوب عليهم - وهم اليهود - وفصَّل القول فيهم، كما قلنا على طول السورة بجرائمهم الكثيرة المتعددة.

سورة البقرة أخيرًا، وليس آخرًا، فالكلام فيها كثير، وتعلمون حجمها وكبرها وعظمها، فلا نستطيع أن نوفيَها حقها، لكنها إشارات نسأل الله أن تكون وافيةً ونافعةً.

سورة البقرة لمح فيها بعض العلماء لمحةً جميلةً؛ حتى سموها أو قالوا فيها: إنها تدور حول موضوع البعث؛ تدور حول موضوع بعث الله للموتى، وإحيائه لهم يوم القيامة، مع أن هذا الموضوع موضوع السور المكية يظهر فيها كثيرًا جدًّا؛ لكن فعلًا سورة البقرة لم تبعد عن هذا الموضوع، بل ذكرت فيه وقائع عدة، ففي أولها ذكر الله تعالى قصة البقرة، وفي ضمنها من خلال السنة قصة القتيل الذي أحياه الله في بني إسرائيل، ويقول الله تعالى :﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، وذكر فيها عن

بني إسرائيل حينما قالوا: أرنا الله جهرةً أهلكهم الله تبارك وتعالى، ثم قال :﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾]البقرة: ٥٦.[

ذكر الله تعالى قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها؛ أعلاها في أدناها، وأدناها في أعلاها؛ ساقطة ميتة لا حياة فيها؛ فقال - من باب العجب، وليس من باب الإنكار، من باب التعجب من عظمة قدرة الله تعالى :- ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، سبحان الله؛ يعني: كيف يحيي الله هذه بعد موتها، كأنه يحب أن يرى هذه الآية :﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]؛ إنه كان ميتًا لا يعد الأيام، فقال: لبثت يومًا أو بعض يوم :﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ...﴾ [البقرة: ٢٥٩] إلى آخر الآية.

وفيها أيضًا موقف مع سيدنا إبراهيم عليه السلام فيما يتصل بإحياء الموتى :﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ ليس شكًّا من إبراهيم، ولكنه يريد أن يرتقي من علم اليقين إلى عين اليقين؛ أن يرى بعينه من جمال هذه الآية وروعتها كيف هذا الميت يُحيا من جديد بعد أن مات، مات، ليست سكتةً مؤقتةً أو مفاجئةً، وإنما موت محقق :﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ أي: أنا مؤمن والحمد لله :﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أُريد طمأنينةً أكثر، وعلمًا أزيدَ، فأعطاه الله آيةً ملخصها :﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، كل طير من صنف؛ أي: أنواع من أنواع الطير :﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ أي: اذبحهنَّ ودق لحمهنَّ وعظامهنَّ في كتلة واحدة مختلطة، فتداخلت

اللحوم والعظام من هذه الطيور الأربعة المختلفة الأنواع، ثم قسم هذه الكتلة من اللحم والعظم أربعة أقسام، وضع كل قطعة منها على رأس جبل، وهذه القطعة مختلطة من لحم عصفور على لحم كذا على لحم، الله يعلم ماذا كانت الأنواع؟ ولا يهمنا أن نعرفها، ولكن هذه القطعة الواحدة مختلطة :﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ أي: نادِ عليهن :﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقد فعل إبراهيم هذا ونادى على الطيور، فعادت من جديد تطير إليه وتلبي نداءه بقدرة الله سبحانه وتعالى الذي وعد ببعث العباد يوم القيامة؛ ليدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات، وليدخل الذين كفروا النار وبئس المصير.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يكون لنا فيما أفاض علينا من فضله وفيضه - أوفر الحظ والنصيب من النفع والعلم والعمل الصالح، اللهم آمين، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، ونعوذ بك من علم لا ينفع.

لا تنسوا محور السورة، ومقصود السورة؛ فهذا هو الذي نسعى إلى معرفته، نسأل الله أن يهدينا إليه هدايةً رشيدةً، وأن ينفعنا به، وعرفنا أن مقصود هذه السورة أن ننظر إلى تاريخ بني إسرائيل على أنهم عصاة لله؛ على أنهم هم المغضوب عليهم؛ هكذا باؤوا بغضب على غضب، كما حدثنا الله في سورة البقرة، هم الذين قالوا لنبي الله موسى عليه السلام :﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، هم الذين قالوا له : ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾]المائدة: ٢٤.[

أخي المسلم، هل ترضى لنفسك أن تكون من هؤلاء العصاة؟!

هل ترضى لنفسك أن تبوء - عافاك الله وإياي - بغضب من الله؟ هل يرضى عاقل لنفسه هذا؟

هذا مثال بين أيدينا، فلنحذر منه، ولنحذر من مثله ومن فعله، هل لو كان نبي الله عليه الصلاة والسلام بين أيدينا قائمًا يأمرنا وينهانا، يكلفنا ويدلنا ويهدينا؛ أكنا نقول له: سمعنا وأطعنا، أو سمعنا وعصينا؟!

تختتم سورة البقرة في خواتيمها بهذا الموقف الجليل، حينما قال الله تعالى :﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، معنى هذه الآية: أن الله تعالى يحاسبنا على خطرات القلب، وعلى خواطر النفس، وعلى الأشياء التي تخطر ببالنا دون أن نتكلم بها، أو نعزم نيةً عليها، أو نفعلها، مجرد أن يمر خاطر على قلبي من خير أو شر؛ الله يحاسبني عليه، نظهره ونبديه، أو نخفيه ونُكنه في صدورنا.

لما سمع الصحابة هذه الآية وجدوها ثقيلةً عليهم لا يُطيقونها؛ لأن حديث النفس يأتي إلى أحدنا رغمًا عنه، ليس بإرادته ولا اختياره، قد يكون الإنسان في صلاة أو في عبادة، أو في جلسة مباحة ويأتيه خاطر سوء، ولا يقوم له ولا يعتبر به، ولكنه يخطر بباله، يحاسبك الله عليه، وجد الصحابة أن هذا الأمر شاق جدًّا، فمَن منا يتحمل؟!

فذهبوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأشاروا له بأنهم على فزع عظيم وخوف جليل، فلم يقفوا بين يديه وقوفًا، وإنما نزلوا على ركبهم، وقفوا على ركبهم، وهذه الجلسة عند العرب تشير إلى أن هذا

الإنسان وراءه ما يُفزعه، وراءه خطر عظيم، وأرادوا أن يظهروا مدى الهول الذي يشعرون به؛ فجلسوا هذا الجلوس، وهذه الهيئة، ثم قالوا» :**أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها**«، يا رسول الله، أمرنا بالصلاة فصلينا، وبالصيام فصمنا، وفي رواية: وبالصدقة فتصدقنا، ونزلت هذه الآية ولا نطيقها، لا نقدر عليها، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو يربي الأمة ولا يملك أن يتكلم من عند نفسه، ولا أن يقترح على ربه، قال لهم - معلمًا إياهم :-
))**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا**[20]((، فساعتها أدركوا وأطاعوا.

انظر أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ما شاء الله منتهى الطاعة؛ حتى وإن كان التكليف صعبًا؛ ليس ذبح بقرة من الأبقار، أو غنمة من الغنم، لا، إنه تكليف صعب فوق طاقة الإنسان، ومع ذلك قالوا :﴿مِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]؛ يعني: يا ربنا اغفر لنا جرأتنا على رسولك، اعتراضنا على هذه الآية؛ فقد وقعنا في خطر وخطأ عظيم، اغفر لنا يا رب :﴿ مِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾؛ لما كانت هذه الكلمة جليلةً جدًّا، وعظيمةً جدًّا عند الله تعالى، وكان هذا الموقف موقفًا إيمانيًّا لا مثيل له - سجَّله الله في القرآن تشريفًا لأصحابه، وذكرى طيبة عاطرة لأربابه الذين قاموا به صادقين أمام النبي عليه الصلاة والسلام، فصرنا نقرؤه إلى أن تقوم الساعة :﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:

٢٨٥]، والدين يسر، وإن كان التكليف صعبًا سيأتي اليسر لا محالة، ولا يسر إلا بعد عسر، وبمجرد أن قالوا هذا، أنزل الله الوحي بنسخ الحكم الأول[21] ، وكأنه كان يختبر إيمانهم؛ أتقبلون أم تعترضون؟ فلما قبلوا، لم ينتظر عليهم؛ ليعملوا إنما فاجأهم وعاجلهم بالفرج، نزل قول الله تعالى :﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر الدعاء في السورة وختام السورة.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في معنى هذا التخفيف وهذه الرحمة الناسخة لما سبق، يقول عليه الصلاة والسلام)) :**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدَّثت به أنفسها**[22] ((؛ يعني: حديث النفس؛ هذا الخواطر عفا الله عنها، ما عدنا نحاسب عليها بحمد الله، بسبب إيمان وتصديق الصحابة واستسلامهم رضي الله عنهم، نزل هذا التخفيف عليهم، ولنا من بعدهم، جزاهم الله عنا خير الجزاء.

إذًا أحبتي أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، اقْبَلوا الدين وإن بدا شديدًا، وإن بدا صعبًا، لكنه في حقيقته يسر، وفي عاقبته يسر :﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥]، هكذا قال الله تعالى في القرآن :﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾]البقرة: ١٨٥.[

هدايات تربوية من سورة البقرة

1-القرآن كتاب هداية؛ فلا غنى للمربي ولا للمتربي عن هداياته؛ قال تعالى :﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾]البقرة: ٢.[

2-الإيمان بالغيب محفِّز للأعمال، ومعينٌ على الإنجاز، وأنفع وسيلة للمراقبة الذاتية؛ قال تعالى :﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾]البقرة: ٣.[

3-اليقين بالآخرة بحيث لا تَغيب عن حس المتربي كأنها أمامه رأي العين؛ قال تعالى :﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾]البقرة: ٤.[

4-الجوارح المعطَّلة عن عملها المعنوي لا تُغني عن صاحبها شيئًا؛ قال تعالى :﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾]البقرة: ٧.[

5-التحذير من الانحراف والمنحرفين لا يَعني وجوده، ولا الوقوع فيه، ولا يعني عدم ذلك؛ قال تعالى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾]البقرة: ٨.[

6-أمراض القلوب هي بيت الداء؛ قال تعالى :﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾]البقرة: ١٠.[

7-كم هي مصيبة الأمة عندما يظن المفسد نفسه مصلحًا؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾]البقرة: ١١.[

8-الانحراف والتلاعب بدين الله يصل بصاحبه إلى أن يتصرَّف بما لا تقبله العقول الراجحة، ولا ترضاه الفِطَر السليمة؛ قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾]البقرة: ١٦.[

9-أهم مقاصد القرآن التعريفُ بالله سبحانه وتعالى، ومن طرق القرآن في التعريف بالله تعالى ذِكر نعم الله على خلقه وما أعطاهم؛ فعلى المربِّي تذكير المتربين بنعم الله عليهم؛ ليقوِّي صِلتَهم بربهم، وتزيد معرفتهم به سبحانه؛ قال تعالى :﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾]البقرة: ٢٢.[

10-النار هي العقاب المنتظَر لمن يستحقها، وليس بعد النار عقاب، وأسلوب الترهيب بها حاجزٌ بين المتربِّين وبين المعاصي؛ قال تعالى :﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾]البقرة: ٢٤.[

11-الجنة هي الثواب الذي أعدَّه الله تعالى لمن يَشاء من خلقه، وتعليق المتربين بالجنة أقوى حافز للإنجاز، وأقرب طريق للوصول إلى التقوى؛ قال تعالى :﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾]البقرة: ٢٥.[

12-من أساليب التربية التربية بضرب الأمثال؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾]البقرة: ٢٦.[

13-الحوار مع المتربين مهما كان مستواهم ومهما كانت الفوارق بينهم وبين المربي- منهج أصيل في التربية، وليس مجرد تكميل أو تجميل؛ تأمل قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾]البقرة: ٣٠.[

14-العلم ثم العلم ثم العلم؛ للارتقاء والتميز؛ قال تعالى :﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾]البقرة: ٣١.[

15-من طرق صَرف الغرور والإعجاب بالنفس إعادةُ الأمور إلى الله تعالى، والبراءة من الذات؛ قال تعالى :﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾]البقرة: ٣٢.[

16-الكبر أم الكبائر وباب المصائب؛ قال تعالى :﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ﴾]البقرة: ٣٤.[

17-الشيطان أحد أهم أسباب الوقوع في المعاصي؛ قال تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾]البقرة: ٣٦.[

18-التوبة منَّة ونعمة تُشكر؛ قال تعالى :﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾]البقرة: ٣٧.[

19-السعادة بذَهاب الخوف والحزن، ولا يتم إلا باتباع هدى الله؛ قال تعالى :﴿ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾]البقرة: ٣٨.[

20-تذكُّر النِّعم عبادة تعبَّدَنا الله تعالى بها؛ قال تعالى :﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾]البقرة: ٤٠.[

21-الجزاء من جنس العمل؛ قال تعالى :﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾]البقرة: ٤٠.[

22-القيام بالطاعات المطلوبة جماعيًّا ليس فقط لإسقاط الواجب؛ بل لتقوية الأواصر الأخوية وتعزيز الروح الاجتماعية؛ قال تعالى : ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾]البقرة: ٤٣.[

23-من السخافة وقلة العقل أن تأمر بالبر وتنسى نفسك؛ قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾]البقرة: ٤٤.[

24-تذكُّر لقاء الله والآخرة من أسباب الخشوع في الصلاة؛ قال تعالى :﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ *الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾]البقرة: ٤٥، ٤٦.[

25-يومَ القيامة لا ينفعك غير عملك، فلا تركن إلى حسَب أو قرابة أو نحوِهما؛ قال تعالى :﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾]البقرة: ٤٨.[

26-مجرد تبديل الكلمة قد يكون كارثة، فلا يستهان بالأمر؛ قال تعالى :﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾]البقرة: ٥٩.[

27-منفعة الآخرين وإعانتهم على دنياهم من صفات المصلحين؛ قال تعالى :﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾]البقرة: ٦٠.[

28-الإنسان ملول بطبعه، والصبر دواؤه؛ قال تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾]البقرة: ٦١.[

29-الجدية سبب من أسباب الفلاح والتوفيق؛ قال تعالى :﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾]البقرة: ٦٣.[

30-الاستفادة من الدروس والتجارب وأخذ العبرة منها من صفات المتقين؛ قال تعالى :﴿ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾]البقرة: ٦٦.[

31-الاستهزاء بالآخرين من الجهل، ولا يقوم به العقلاء؛ قال تعالى :﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾]البقرة: ٦٧.[

32-ما أعجب تقلُّبَ القلوب، فالدعاء بتثبيتها أمر لازم؛ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ

الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله ﴾]البقرة: ٧٤.[

33-تأخير العقاب قد يكون عقابًا أصلاً، وأما الغفلة عنه فمحال على تعالى الله؛ قال تعالى :﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾]البقرة: ٧٤.[

34-الهوى يعطل العقل، ويظن صاحبه نفسه عاقلاً؛ قال تعالى : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾]البقرة: ٧٦.[

35-حب الدنيا والتعلق بها يوصل صاحبَه إلى ما لا يخطر ببال؛ قال تعالى :﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾]البقرة: ٧٩.[

36-كلامك دليل عليك، لا على من تكلِّمه، فليكن قولك خيرًا معرِّفًا بك؛ قال تعالى :﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾]البقرة: ٨٣.[

37-يمكنك أن تبرِّر انحرافك بما يَظهر للناس، لكن هناك من يعلم الحقيقة؛ قال تعالى :﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾]البقرة: ٨٨.[

38-كم تَسقط من أقنعة عندما تأتي الحقائق! قال تعالى :﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾]البقرة: ٨٩.[

39-ما من معصية إلا ولها في القلب بذرة وموضع؛ قال تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾]البقرة: ٩٣.[

40-الدعاوي سهلة، غير أنها تصبح هراء عند المطالبة بالبرهان والحجة؛ قال تعالى :﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾]البقرة: ٩٤، ٩٥.[

41-القرآن: بيته وموطنه القلب؛ قال تعالى :﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾]البقرة: ٩٧.[

42-الجهل وعدم العمل بالعلم سواء؛ قال تعالى :﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾]البقرة: ١٠١.[

43-العبارات لها تأثيرها سلبًا وإيجابًا؛ قال تعالى :﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾]البقرة: ١٠٤.[

44-الحسد قد يُهلك صاحبه في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾]البقرة: ١٠٩.[

45-اليقين بما عند الله حافزٌ للعمل والإنجاز؛ قال تعالى :﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾]البقرة: ١١٠.[

46-من الظلم منعُ المكان والزمان من القيام فيه بما وُضع له؛ قال تعالى :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾]البقرة: ١١٤.[

47-الفارق الزمني يقربه التقارب القلبي والمشابهة المعنوية؛ قال تعالى :﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾]البقرة: ١١٨.[

48-القيام بالواجب يعفيك من السؤال عن المقصرين والمتخلفين؛ قال تعالى :﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾]البقرة: ١١٩.[

49-العلم بالحق سبب من أسباب الثبات عليه؛ قال تعالى :﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾]البقرة: ١٢٠.[

50-أن تكون قدوة للناس وإمامًا في الخير هبة من الله وفضل ونعمة؛ قال تعالى :﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾]البقرة: ١٢٤.[

51-من العمل الصالح والأثر الطيب ما يخلِّد ذِكرَك في الدنيا؛ قال تعالى :﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾]البقرة: ١٢٥.[

52-الدعاء للآخَرين وعدم الاقتصار على الذات من أخلاق الكبار؛ قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾]البقرة: ١٢٦.[

53-قَبول الأعمال الصالحة عند الله قضية تؤرِّق مضاجع الصالحين؛ قال تعالى :﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾]البقرة: ١٢٧.[

54-الطموح يتجاوز السنين والمكان؛ قال تعالى :﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾]البقرة: ١٢٨.[

55-لا بد مع العلم من التزكية، ولا تقوم التزكية بلا علم، وتلاوة الآيات مصدرهما؛ قال تعالى :﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾]البقرة: ١٢٩.[

56-الجهل بالنفس وبقدرها سبب من أسباب الانحراف؛ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾]البقرة: ١٣٠.[

57-لا تجعل الماضيَ عائقًا بينك وبين العمل، فيومَك يومك؛ قال تعالى :﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾]البقرة: ١٣٤.[

58-قوة التوكل على الله تعالى مبعث اطمئنان؛ قال تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾]البقرة: ١٣٧.[

59-السفيه تعرف أقواله قبل أن ينطق بها؛ قال تعالى :﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾]البقرة: ١٤٢.[

60-الشهادة مسؤولية وكلما كانت المشهود عليه عظيما كانت أشد مسؤوليَّة؛ قال تعالى :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾]البقرة: ١٤٣.[

61-بعض الحاجات تُقضى- وإن لم يتكلَّم صاحبها بها- إذا انشغل القلب بها وهَمَّته؛ قال تعالى :﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾]البقرة: ١٤٤.[

62-انحراف أهل العلم يُلحقهم بالظالمين؛ قال تعالى :﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾]البقرة: ١٤٥.[

63-المعرفة المجردة عن مراقبة الله والعمل بها لا تنفع صاحبها؛ قال تعالى :﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾]البقرة: ١٤٦.[

64-النهي عن الشيء لا يَعني وجوده حالاً أو القيام به مستقبَلاً؛ قال تعالى :﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾]البقرة: ١٤٧.[

65-لكلٍّ وجهتُه وطريقته، والتميز بالمسابقة في الخيرات؛ قال تعالى :﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾]البقرة: ١٤٨.[

66-مهما كانت قدراتك ومواهبك فلا غنى لك عن الاستعانة بالله تعالى، ومن رحمة الله أن أعطاك مفاتيحها؛ قال تعالى :﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾]البقرة: ١٥٣.[

67-في التعامل مع الله لا تقِفْ عند حدود تصوراتك؛ قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾]البقرة: ١٥٤.[

68-الابتلاء سنَّة، وله صور متنوعة؛ قال تعالى :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾]البقرة: ١٥٥.[

69-الصبر هو الموقف الواجب في التعامل مع الابتلاء؛ قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾]البقرة: ١٥٥.[

70-التسليم والرضا مَناطُ تحققهما عند الابتلاء؛ قال تعالى :﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾]البقرة: ١٥٦.[

71-عظيم قدر الثمرة يُنسيك ألَم الطريق ويُذهب عنك مرارة الصبر؛ قال تعالى :﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾]البقرة: ١٥٧.[

72-مِن تعظيم الله تعظيمُ شعائره المكانيَّة والزمانية؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾]البقرة: ١٥٨.[

73-جريمة كِتمان العلم من أبشع الجرائم؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾]البقرة: ١٥٩.[

74-آيات الله في ملَكوته دليلٌ عليه، وتُعرِّف به سبحانه وتعالى لمن كان له عقل؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾]البقرة: ١٦٤.[

75-أحبِب مِن الدنيا ما شئتَ ومَن شئت، لكن لا بد من حدٍّ لهذا الحب فلا يتجاوز حدَّه؛ قال تعالى :﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾]البقرة: ١٦٥.[

76-ذل التبعية والطاعة العمياء ليست في الدنيا فقط بل في الآخرة أشد وأقسى؛ قال تعالى :﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾]البقرة: ١٦٦.[

77-العدو المتربص يبحث عن ثُغرة يهجم منها، ولو من خلال أَكلة وشَربة؛ قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾]البقرة: ١٦٨.[

78-ليس كل ما كان عليه السابقون صحيحًا مهما كان تمسكهم به، فالعبرة بموافقته للشرع؛ قال تعالى :﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾]البقرة: ١٧٠.[

79-الشكر عبادة؛ قال تعالى :﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾]البقرة: ١٧٢.[

80-الخروج عن الأصل له ضوابطُ وقواعد وقوانين؛ قال تعالى : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾]البقرة: ١٧٣.[

81-الاختلاف في المسلَّمات والقطعيات يورث الشقاق والنِّزاع؛ قال تعالى :﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾]البقرة: ١٧٦.[

82-في التعامل مع الله سبحانه وتعالى: المقصودُ عمل القلب وتوجُّهه، وليس توجُّهَ البدن الخالي من أي حضور قلبي؛ قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾]البقرة: ١٧٧.[

83-العفو عن الآخرين خُلق رفيع، وهو نهاية القضية، وليس لمن عفا حقٌّ بعده؛ قال تعالى :﴿ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾]البقرة: ١٧٨.[

84-نهاية البعض قد تكون بدايةَ بعض آخر؛ قال تعالى :﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾]البقرة: ١٧٩.[

85-اشتراك الآخرين في التكليف يخفِّف وطأته؛ قال تعالى :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾]البقرة: ١٨٣.[

86-معرفة النهاية تعين على طول الطريق؛ قال تعالى :﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾]البقرة: ١٨٤.[

87-ليس القصد من التكاليف إتعابَ البدن وإرهاق الروح؛ قال تعالى :﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾]البقرة: ١٨٥.[

88-كلما شعَرتَ بالقرب انخفض صوتُك، وأبديتَ سرَّك، وأنكرتَ الوسائط؛ قال تعالى :﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾]البقرة: ١٨٦.[

89-الاقتراب من المحذور محذور؛ قال تعالى :﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾]البقرة: ١٨٧.[

90-اسأل؛ فالسؤال مفتاح العلم، فاسأل وإن كنت تظن أن الأمر واضح وجلي؛ قال تعالى :﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ﴾]البقرة: ١٨٩.[

91-الاعتداء على الآخرين- أيًّا كان نوعه؛ باليد، أو باللسان- جريمة ولا يجوز؛ قال تعالى :﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾]البقرة: ١٩٠.[

92-القتل جريمة بشعة، ولكن أشد منه وأبشع قتل الروح بصدِّها عن دين الله، ومنعِها من الإسلام؛ قال تعالى :﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾]البقرة: ١٩١.[

93-حتى معاملة المسيء بالمثل تَحتاج إلى تَقْوى؛ قال تعالى :﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾]البقرة: ١٩٤.[

94-تزود من دنياك غير ألا تنسى الزاد الحقيقي؛ قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾]البقرة: ١٩٧.[

95-مع المناسك في المشاعر يَبقى لمشاعر النفس مراعاتُها؛ قال تعالى :﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ﴾]البقرة: ١٩٨.[

96-ذِكْر الآباء والأوطان دليلٌ على الوفاء إذا لم يتجاوز الحد؛ قال تعالى :﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾]البقرة: ٢٠٠.[

97-التوازن سِمة الصالحين وعلامة الناجحين؛ قال تعالى :﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾]البقرة: ٢٠١.[

98-الفساد إذا حلَّ بأرض فلك أن تتوقع منه أي شيء؛ قال تعالى : ﴿ وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾]البقرة: ٢٠٥.[

99-عدم قَبول النُّصح علامة من علامات الكبر؛ قال تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾]البقرة: ٢٠٦.[

100-رضوان الله تعالى غاية عظيمة، تستحق أن يُبذَل لأجلها كلُّ غال، وأن تطلب بكل سبيل؛ قال تعالى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾]البقرة: ٢٠٧.[

101-إذا استطعت ألا تترك شيئًا من الإسلام إلا فعلتَه فلا تتردد؛ قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾]البقرة: ٢٠٨.[

102-ليس كل تغيير محمودًا؛ قال تعالى :﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾]البقرة: ٢١١.[

103-ارتفاع شأن الكفار في الدنيا، وسخريتهم من المؤمنين- لا يعني ولو للحظة أنهم على حق، وحال الدنيا ليس هو المقياس؛ قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾]البقرة: ٢١٢.[

104-البغي والظلم من أهم أسباب النزاع والخلاف؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾]البقرة: ٢١٣.[

105-طريق الجنة سلَكه قومٌ سابقون، ومعرفة طريقة سَيرهم تُعين على السير؛ قال تعالى :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾]البقرة: ٢١٤.[

106- ما يَعتري النفسَ مِن شعور نحو قضيةٍ ما قد يكون خاطئًا؛ قال تعالى :﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ ﴾]البقرة: ٢١٦.[

107- الاعتراف بما عند الآخرين- وخاصة الخصوم- مِن حق ليس عيبًا ولا نقصًا؛ بل دليل إنصاف، واتباع للحق؛ قال تعالى :﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾]البقرة: ٢١٧.[

108- الجائزة الكبرى أن تنال رحمة الله، فإذا نِلتَها فلا يضرك ما فقَدت؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾]البقرة: ٢١٨.[

109- كم من أمور وأشياء يحرص عليها المرء؛ لأنه يرى جانبًا واحدًا منها، وفيها مما يزهِّده فيها ما لا ينتبه له! قال تعالى :﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾]البقرة: ٢١٩.[

110- ربط ملذَّات الدنيا- كالزواج مثلاً- بالجنة يجعل للحياة طعمًا آخَرَ ولونًا آخَر؛ قال تعالى :﴿ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾]البقرة: ٢٢١.[

111-حتى فيما فيه مصلحة الإنسان وحِفظه يكون سببًا لِنَيل محبة الله تعالى؛ قال تعالى :﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾]البقرة: ٢٢٢.[

112-تبقى القلوب هي المؤثِّرَ الرئيسَ في الأعمال؛ قال تعالى :﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾]البقرة: ٢٢٥.[

113-ليس كالإيمان حافزٌ للتنفيذ وحارسٌ من التفريط؛ قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾]البقرة: ٢٢٨.[

114-حتى في حالات الخصام والنزاع تبقى الأخلاقُ والمعاملة الحسنة مطلوبة ومقصَدًا شرعيًّا؛ قال تعالى :﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾]البقرة: ٢٢٩.[

115-من عوامل تزكية النفس وطهارتها التسليم لحكم الله وتنفيذ أمره، وإن خالف هوى النفس؛ قال تعالى :﴿ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾]البقرة: ٢٣٢.[

116-العاطفة نحو الآخرين ومشاعر النفس السليمة- التي لا تتجاوز حدودها، ولا تؤذي غيرها- لا حرج فيها؛ قال تعالى :﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ ﴾]البقرة: ٢٣٥.[

117-العلم بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته من أهم الأسباب في تقوية وتعزيز المراقبة؛ قال تعالى :﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾]البقرة: ٢٣٥.[

118-عند الخلاف تختفي مواطن الودِّ السابقة، وتَبرز نقاط النزاع، لكن التقوى تدفع صاحبها للعدل والتوازن؛ قال تعالى :﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾]البقرة: ٢٣٧.[

119-إلا الصلاة! لا ينبغي التهاون فيها والتقصير في حقها، مهما كانت الظروف؛ قال تعالى :﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ﴾]البقرة: ٢٣٩.[

120-من علامات التقوى مراعاةُ الحقوق، وخاصة حقوق الضعفاء؛ قال تعالى :﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾]البقرة: ٢٤١.[

121-ما لا بد منه فلا ينفع الفِرار منه، بل ينبغي الاستعداد له؛ قال تعالى :﴿ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾]البقرة: ٢٤٣.[

122-أعلى درجات الكرم وكماله أن يُعطيك ثم يَستقرض منك، ثم يُضاعف لك في الرد؛ قال تعالى :﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾]البقرة: ٢٤٥.[

123-المال ليس كلَّ شيء؛ بل يسقط أمام كثير من المعايير والمواصفات؛ قال تعالى :﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾]البقرة: ٢٤٧.[

124-من عوامل الثبات: اليقين بملاقاة الله تعالى، وقوة الإيمان باليوم الآخر؛ قال تعالى :﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾]البقرة: ٢٤٩.[

125-الدعاء سلاح حتى في لحظات النزال وساعات الحرب؛ قال تعالى :﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا ﴾]البقرة: ٢٥٠.[

126-التدافع بين الحق والباطل مع كونه سنَّة باقية فهو سبب من أسباب توقف الفساد في الأرض؛ قال تعالى :﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾]البقرة: ٢٥١.[

127-الفرص لا تعود، والمبادرة في استغلالها دليل العقل والتدبير؛ قال تعالى :﴿ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾]البقرة: ٢٥٤.[

128-إذا تولى الله تعالى أمْرَك فقد جاءتك السعادة رغمًا عنها؛ قال تعالى :﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾]البقرة: ٢٥٧.[

129-فرقٌ بين أن تسأل للاطمئنان وبين أن تسأل للشك وزعزَعة الإيمان؛ قال تعالى :﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾]البقرة: ٢٦٠.[

130-الطاعة قد يبطلها الأثر الناتج عنها والتصرف بعدها؛ قال تعالى :﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ ﴾]البقرة: ٢٦٢.[

131-قد تَفضُل الطاعة عن غيرها بسبب ما يحصل بعدها مما يُفسدها؛ قال تعالى :﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾]البقرة: ٢٦٣.[

132-تَبقى الأعمال والقربات مهدَّدة بما يُبطلها، فينبغي الحرص على بقائها خالصة صافية؛ قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾]البقرة: ٢٦٤.[

133-الخوف من الفقر مانعٌ من موانع الإنفاق؛ ولذا يَستخدمه الشيطان في الصد عن الصدَقة؛ قال تعالى :﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾]البقرة: ٢٦٨.[

134-ليس الرزق محصورًا في الماديات، بل هناك ما هو أعظم من الذَّهب والفضة؛ قال تعالى :﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾]البقرة: ٢٦٩.[

135-قد يكون من المصلحة إظهار الطاعة؛ قال تعالى :﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾]البقرة: ٢٧١.[

136-مسؤوليتك البلاغ، وليس الهداية؛ قال تعالى :﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾]البقرة: ٢٧٢.[

137-للتعفف لذَّة تُنسيك قَسوة الحاجة؛ قال تعالى :﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾]البقرة: ٢٧٣.[

138-صاحب الهمة والنيَّة لا تختلف عنده الأوقاتُ والأحوال للقيام بما يريد؛ قال تعالى :﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾]البقرة: ٢٧٤.[

139-البرَكة خيرٌ من الثمار؛ قال تعالى :﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾]البقرة: ٢٧٦.[

140-كمال السعادة يكون بذَهاب الخوف والحزن؛ الخوف من القادم، والحزن على الماضي؛ قال تعالى :﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾]البقرة: ٢٧٧.[

141-ربَّ معصيةٍ فيها هلاك الدنيا والآخرة؛ قال تعالى :﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾]البقرة: ٢٧٩.[

142-تفَهُّم حال الآخرين من مكارم الأخلاق؛ قال تعالى :﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾]البقرة: ٢٨٠.[

143-افعل ما شئتَ فإنك مجزيٌّ به؛ قال تعالى :﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ﴾]البقرة: ٢٨١.[

144-الحقوق محترَمة، وتشريع ما يَحفظها يَزيدها احترامًا؛ قال تعالى :﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾]البقرة: ٢٨٢.[

145-ليس في حقوق الآخرين شيءٌ هين، فلكل شيء قيمته؛ قال تعالى :﴿ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾]البقرة: ٢٨٢.[

146-التقوى والعلم متلازمان؛ قال تعالى :﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾]البقرة: ٢٨٢.[

147-القلب المصدر الأول للإثم، والجوارح جنود له؛ قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾]البقرة: ٢٨٣.[

148-من علامات الانتفاع بالسماع: الامتِثال والطاعة؛ قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾]البقرة: ٢٨٥.[

149-التكليف بما في الوُسْع من النِّعم المنسيَّة، التي قَلَّ من يستَشعرها، فضلاً عن أن يشكرها؛ قال تعالى :﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾]البقرة: ٢٨٦.[

150-مع قيام العدل لا غنى لنا عن الفضل؛ قال تعالى :﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾]البقرة: ٢٨٦[

مَثَلُهُمْ
كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا
فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ
وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ
Quran-HD.com

يقول الله - عز وجل :- ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾]البقرة: ١٧[.

هذه الآية تصور لنا حقيقة النفاق في صدور أصحابه، فهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، فشبهتهم الآية الكريمة بالذي استوقد نارا، فلما رأى منها انتفاعا بأن أضاءت وأبصر بها ما حوله، أُطفئت النار، وتحول النور إلى ظلمة، وآل الإبصار إلى عمى.

وهناك مجموعة من التساؤلات التي تثيرها الآية الكريمة:

1- لماذا عبرت الآية عن ضوء النار بالظرف) حوله (في ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾، ولم تكن مثلا (فلما أضاءت) بدون مفعول، أو)فلما أضاءت له(؟

لأن الظرف) حول (يشير إلى أن النور منفصل عن هؤلاء، لم يمس قلوبهم؛ لذلك سرعان ما ذهب عنهم نور الإيمان الذي لم يرسخ في قلوبهم؛ لأنه عارض، أما الظلمة فراسخة في قلوبهم.

2- لماذا تعدى الفعل) ذهب (بواسطة حرف الجر ولم يتعد بهمزة التعدية؟ أي لماذا كان التركيب ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾، ولم يكن) أذهب الله نورهم(؟

الباء هنا تدل على المعية، فقد ذهب الله بالنور؛ لأن هذه المعية خص الله بها عباده المؤمنين دون غيرهم، فحرم هؤلاء المنافقين منها، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وليس مع المنافقين، وقد تأكد ذلك بقوله - تعالى – ﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾، فلم يصبحوا في معيته الخاصة بالمؤمنين.

3-لماذا عبرت الآية عن ذهاب الضوء بـ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم تعبر بذهاب النار لمطابقة ذكرها قبل ذلك ﴿ اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾، ولأنها هي التي أطفئت؟

النار تشتمل على جانبين: جانب الإشراق، وجانب الإحراق، فذهب الله - تعالى - بجانب الإشراق الممثل في النور، وترك لهم جانب الإحراق.

4-لماذا عبرت الآية عن تركهم في الظلمات بذهاب النور ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾، ولم تعبر بذهاب الضوء، مع أنه قد ذكر قبل ذلك في)أضاءت(؟

لأن الضوء ينتج عن النور، فالنور أصل للضوء، فالذهاب بالنور هو ذهاب للضوء أيضا، لكن لو عبر بذهاب الضوء لذهبت الزيادة دون الأصل، فقد يتوهم أن النور موجود، وأن ما ذهب إضاءته فقط، كما أن الله - تعالى - وصف نفسه بالنور ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥]، والقرآن بالنور ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: ٨]، والدين بالنور ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، والصلاة نور، فهؤلاء المنافقون محرومون من كل أنواع النور.

5-لماذا جمع الضمير في قوله - عز وجل :- ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ مع أنه عبر بالضمير العائد على المفرد في قوله - عز وجل :﴿ مَا حَوْلَهُ ﴾؟

ليرتبط الذهن بالمشبه به، وهم المنافقون، ففي ذلك مراعاة لحال المشبه، وهي حال المنافقين لا لحال المشبه به، وهي حال المستوقد الواحد؛ ليدلل على انطماس نور الإيمان في قلوبهم.

6-لماذا حذف مفعول) ﴿ يُبْصِرُونَ ﴾(؟
لقصد عموم نفي كل ما يُبصَر، فنزل الفعل منزلة اللازم، ولا يقدَّر له مفعول كأنه قيل: لا إحساس بصر لهم.

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(212)
كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(213)

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(214)

المعنى العام-:

العنوان هو الفتنة والابتلاء، ومناسبة هذا العنوان أن الآيات الثلاث تمثل سنة الإبتلاء، وأثرها في سلوك كل من المؤمن والكافر.

ونجمل المعنى فيما يلي :

أن الحياة الدنيا زُيِّنت للكفرة فافتتنوا بها، فما كان صنيعهم إلا العصيان والخذلان،والسخرية من المؤمنين والأبرار .

ثم بين سبحانه أن الأصل أن جميع الناس كانوا في ضلال وشقاء؛ فأرسل الرسل فآمن من آثر الحياة الآخرة، وعصى من افتتن بالحياة الدنيوية

ثم عقب أخيراً أن هذه سنته تعالى في الخليقة جمعاء من مرسلين ومن سواهم، و على الجميع الصبر والثبات والاحتساب تجاه هذه السنة .

والله المستعان .

التزيين للدنيا:

يخبر الله تعالى أن الذين كفروا بالله وآياته ورسله عليهم الصلاة والسلام، و لم ينقادوا لشرعه قد زينت لهم الحياة الدنيا.

أما من هو المراد بالمزين؟ فنقول المزين حقيقة: هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الخالق البارئ بديع السماوات والأرض.
ولكن قد يقال أن الشيطان مزين بالإغواء والإغراء.
وفي ذلك يقول ابن الجوزي)) : -رَحِمَهُ ٱللَّهُ – وإلى من يضاف هذا التزيين؟؛ فيه قولان: أحدهما: أنه مضاف إلى الله؛ وقرأ أبي بن كعب والحسن ومجاهد وابن محيصن وابن أبي عبلة: ((زَيَّن)) بفتح الزاي والياء، على معنى: زينها الله لهم.
والثاني: أنه مضاف إلى الشيطان، روي عن الحسن.([1])
وخص الذين كفروا بالذكر لقبولهم التزيين جملة، وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن الآخرة بسببها.
وقد جعل الله ما على الأرض زينة لها، ليبلوا الخلق أيهم أحسن عملاً، قال تعالى: ((إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبوهم أيهم أحسن عملا)).([2])
والمؤمنون الذين هم على سنن الشرع ،لم تفتنهم الزينة ؛والكفار تَمَلْكتهْمُ، لأنهم لا يعتقدون غيرها([3]) .
ميزان الفوقية:
إن التفاضل في ديننا لا يخضع لشرف ،ولا لنسب، ولا جاه، ولا سلطان، ولا غير ذلك، من الاعتبارات الزائفة والزائلة.
إنما هو ذو معيار واحد وهو تفاضل الدين.
فلا الأحساب ولا الأجناس ولا الأموال هي ميزان الفوقية في ديننا، بل التنافس الحق، والتفاضل الحق، هو في مقدار الدين والإلتزام.
قال الله – تعالى- ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)) .([4])

وقال الرسول)) : -ﷺ – لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى.([5]) ((..

ومر رجل على رسول الله -ﷺ – فقال لرجل عنده جالس (ما رأيك في هذا فقال رجل من أشراف الناس :هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع ،وإن قال أن يسمع، فسكت رسول الله -ﷺ –ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله -ﷺ – ما رأيك في هذا؟ فقال يا رسول الله :هذا رجل من فقراء المسلمين ،هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع ،وإن قال أن لا يسمع لقوله؛ قال رسول الله ﷺ) هذا خير من ملء الأرض مثل هذا (. ([6])

وبهذا الميزان كان يقاس الناس في زمن رسولنا -ﷺ – فهو الميزان والمقياس للتزوج ،وهو المقياس للإمارة، وهو المقياس للإمامة في الصلاة.

الدنيا بالنسبة للآخرة:

الدنيا دار فناء وابتلاء، والآخرة دار بقاء وجزاء، ولا مقارنة بينهما.

وقد جاء القرآن الكريم مؤكداً هذه الحقيقة، فقال الله تعالى: ((قل متاع الدنيا قليل)) ([7]) وقال تعالى: ((وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون.([8]) ((

وقال تعالى: ((اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم

وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديدة ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)) ([9]) وغيرها من الآيات.

وجاءت السنة النبوية مؤكدة هذا المعنى أيضا.

فقد قال رسول الله)) : -ﷺ – اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأصلح الأنصار والمهاجرة ([10]) ((ومنها قوله عليه الصلاة والسلام أيضا: ((موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ([11]) ((وقال عليه الصلاة والسلام ((والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع .([12]) ((

وفي هذا الحديث يقول القرطبي)) -رحمه الله – هذا نحو قوله تعالى (قل متاع الدنيا قليل)) وهذا بالنسبة إلى ذاتها؛ وأما بالنسبة إلى الآخرة فلا قدر لها ولا خطر، إنما أورد ذلك على سبيل التمثيل والتقريب، وإلا فلا نسبة بين المتناهي وبين مالا يتناهى، وإلى ذلك الإشارة بقوله (فلينظر بم يرجع).

ووجهه أن القدر الذي يتعلق بالإصبع من ماء البحر لا قدر له ولا خطر، وكذلك الدنيا بالنسبة للآخرة،

والحاصل أن الدنيا كالماء الذي يعلق في الإصبع من البحر؛ والآخرة كسائر البحر.([13]) ((

ولا يتعلق بها إلا من لا عقل له وقد قال النبي)) -ﷺ – الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ((

. ([14])
وهذه الحقيقة عاشها الصحابة – رضوان الله عليهم- وعرفوها وكذا من سار على نهجهم من السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين- وعبروا عنها أحسن تعبير قولاً وعملاً.
فها هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ((ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة بنون، فكونوا أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل)).([15])
ومتى حقق العبد هذا الأمر في قلبه ستتغير صورة الحياة الدنيا في عينيه وسينظر إلى الدنيا بمنظار حقيقي وسليم ونافع .

فوقية الدنيا والآخرة:

وفوقية المتقين هذه شاملة لكلا الدارين الدنيا والآخرة، فهم فوق الكفرة والملحدين في الدنيا، كما وقع ذلك من ظهور الإسلام، وسقوط الكفر، وقتل أهله، وأسرهم وتشريدهم، وضرب الجزية عليهم، ولا مانع من حمل الآية هذه عليهم هذا لولا التقييد بكونه يوم القيامة.
فهم فوق الكفرة والملحدين في الآخرة، وهو المراد به في الآية لتقييدها كما أسلفنا بقوله (يوم القيامة) فالذين آمنوا وأعرضوا عن الدنيا، وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم وبذلوه ابتغاء وجه الله؛ فازوا بالمقام الأسعد، والحظ الأوفر يوم معادهم، فكانوا فوق من سواهم من الكفرة وغيرهم في محشرهم ومنشرهم ومسيرهم ومأواهم، فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين، وخلد أولئك في الدركات في أسفل سافلين([16]) .

السخرية:

يخبر تعالى أن الكافرين ممن افتتنوا بهذه الحياة الدنيا، كان حالهم السخرية والاستهزاء واحتقار المؤمنين.

وكانوا يسخرون منهم: قيل: لفقرهم، وقيل: لتصديقهم بالآخرة، وقيل: لاتباعهم النبي – صلى الله عليه وسلم.([17])-

وأيا كان سبب سخريتهم منهم، فالسخرية والاستهزاء أمرٌ ممقوت في شرعنا، ويعظم هذا الجرم أكثر لو كان الساخر والمسخور منه مسلمان قال – تعالى- محذراً عباده من مغبة هذا الأمر و هذه الجريمة ((يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابذوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)) .([18])

وقال الرسول)) : -ﷺ – المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ؛ التقوى هاهنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه.([19]) ((وفي هذه الأزمان يتعرض المؤمنين لوجوه كثيرة من السخرية ويوصفون بالغباوة والجهل وسوء الرأي والتطرف والرجعية... إلى غير ذلك؛ وهذه سنة ينبغي على المؤمنين الصبر عليها والثبات، وعدم الجزع أو التسخط أو التراجع.

وفي الآخرة من ادعى العلم والفهم لنفسه والجهل والسفه لغيره من الصالحين ،سيدرك من كان ذا علم ومن كان جاهلا (وقالوا لو كنا نسمع أونعقل ما كنا في أصحاب السعير) الملك

سنة الابتلاء:

قال الله تعالى: ((الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)) ([20]) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)) ([21]) ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين([22]) ((

فيقول في ذلك ابن القيم)) -رَحِمَهُ ٱللَّهُ – فالناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم آمنا وإما أن لا يقول آمنا بل يستمر على عمل السيئات؛ فمن قال آمنا أمتحنه الرب عَزَّوَجَلَّ، وابتلاه وألبسه الابتلاء والاختبار ؛ ليبين الصادق من الكاذب، ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يسبق الرب لتجربته فإن أحداً لن يعجز الله تعالى هذه سنته تعالى يرسل الرسل إلى الخلق فيكذبهم الناس ويؤذونهم؛ قال تعالى:

((وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن))([23]) ،وقال تعالى: ((كذلك ما آتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون.([24]) ((

ومن آمن بالرسل وأطاعهم عادوه وآذوه، فابتلي بما يؤلمه ؛ وإن لم يؤمن بهم عوقب، فحصول ما يؤلمه أعظم وأدوم، فلا بد من حصول الألم لكل نفس سواء آمنت أم كفرت؛ لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والكافر تحصل له النعمة ابتداءً ثم يصير في الألم.

)سأل رجل الشافعي) فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة: وهذا أصل عظيم فينبغي للعاقل أن يعرفه وهذا يحصل لكل أحد ((..([25])

ويقول -رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أيضاً في موضع آخر: ((وإذا تأملت حكمته – سبحانه- فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجل الغايات، وأكمل النهايات، التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة إلا عليه، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنهج في حقهم، والكرامة، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة، تجنى من قطوف الابتلاء والامتحان.

فتأمل حال أبينا آدم وما آلت إليه محنته من الاصطفاء والاجتباء والتوبة والهداية ورفعة المنزلة، ولولا تلك المحنة التي جرت عليه، وهي إخراجه من الجنة وتوابع ذلك، لما وصل إلى ما وصل إليه، فكم بين حالته الأولى وحالته الثانية في نهايته.

وتأمل حال أبينا نوح -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وما آلت إليه محنته وصبره على قومه تلك القرون كلها، حتى أقر الله عينه، وأغرق أهل الأرض بدعوته، وجعل العالم بعده من ذريته، وجعله خامس خمسة، وهم أولوا العزم الذين هم أفضل الرسل... فإذا جئت إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

-وتأملت سيرته مع قومه وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، تلون الأحوال عليه من سلم وخوف، وغنى وفقر، وأمن و إقامه في وطنه وظعن عنه وتركه لله؛... وهو مع ذلك صابر على أمر الله يدعو إلى الله، فلم يؤذ نبي ما أوذي، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يعط نبي ما أعطيه، فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظم عنده جاهاً، وأسمعهم عنده شفاعة، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفاً وفضلاً، وساقه بها إلى أعلى المقامات، وهذا حال ورثته من بعده الأمثل فالأمثل، كل له نصيب من المحنة يسوقه الله به إلى كماله بحسب متابعته له؛ ومن لا نصيب له من ذلك، فحظه من الدنيا حظ من خلق لها وخلقت له... فلله سبحانه من الحكم في ابتلاءه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة، والنهايات الفاضلة، إلا على جسر المحنة والابتلاء.([26]) ((

أنواع البلاء:

إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يجعل الابتلاء لعباده نوعاً واحداً،بل جعله أنواعاً مختلفة فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يبتلي عباده بالتكاليف،ويبتليهم بالنعم،ويبتليهم بالنقم،يبتليهم بكل هذا لحكم كثيرة وفوائد جمة منها:

تحقيق العبودية الكاملة لله في السراء والضراء،في العسر واليسر، وفي كل شأن من شؤون الحياة و في كل حين من الزمان.

والله ذكر في هذه الآية البأساء والضراء لأن من طبيعة الابتلاء بالشدة؛ وأما الزلزلة فهي أعلى مستوى وأشده من المحنة ،وتتابع هذه

الشدائد والرزايا على المؤمنين حتى ينزعجوا انزعاجاً شديداً،ويدخل الرعب والخوف إلى قلوبهم ،إلى أن يصبح اضطراباً في القلوب، بحيث لا تستقر على حال وتكاد تزل عن الحق الذي آمنت به،ومن شأن هذه الأمور،أن توقظ الفطرة التي ما يزال فيها خير يرجى،وأن ترقق القلوب التي طال عليها الأمد ،وأن تتجه بالبشر الضعاف إلى خالقهم القهار، يتضرعون إليه ،ويطلبون رحمته وعفوه ، ويعلنون بهذا التضرع عبوديتهم لله.([27])

ألا إن نصر الله قريب:

فهذه الآية تفيد إخباره أن الجنة التي أعدها الله لرسله وأتباعهم من المؤمنين، عزيزة غالية بعيدة المنال،لا يوصل إلا بعد النجاح في الابتلاء والاختبار حتى يتبين المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، وإذا اشتد البلاء والكرب فإن النصر قريب.

والعاقبة الحسنة للمؤمنين في الدنيا والآخرة،ولأعدائهم الهزيمة والخذلان في الدنيا، والنار في الآخرة.

فالجنة لا تنال بالراحة والكسل والتمني والتشهي والدعاوى الفارغة، وإنما تنال بالتوحيد والإخلاص ،والصبر على الطاعات، واجتناب المحرمات، والجهاد في سبيله بالنفس والمال واللسان، والصبر على الشدائد والفتن والمصائب والكوارث واحتساب الأجر عند الله تعالى.

وعلى المؤمنين عدم تعجل النصر فالنصر آتٍ بإذن الله والفرج مع شدة الكرب.

وعن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ فقال (إن من كان قبلكم، كان أحدهم يوضع المنشار على

مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه، ثم قال:والله ليتمن الله هنا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على علمه ولكنكم تستعجلون ([28])"

فلا يأس ولا قنوط ، ولكن صبر واحتساب حتى يأتي النصر.

وما تأخر النصر إلا لحكمة أرادها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وقد تتحقق سنة النصر بغير صورتها الظاهرة من الغلبة على الأعداء والتمكين في الأرض،ويظن بعض الناس أن ذلك خلف للسنة ولوعد الله بنصر المؤمنين،وليس الأمر كذلك فالنصر ليس معناه مقتصراً على صورة واحدة وإنما هو صور متعددة،وأي تحقق لصورة معينة إنما هو تحقق للسنة،فسنة الله يأخذه أبداً،ووعد الله بنصر رسله والمؤمنين معه في مثل قوله تعالى(إنَّا لننصر رسلنا.....)غافر/٥١

وهذا وعد يتحقق فسنة الله في قديم الدهر وحديثه أن ينصر عباده المؤمنين في الدنيا بوجه من وجوه النصر التالية:

-1النصر بالانتقام لهم ممن آذاهم، سواء كان ذلك بوجودهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم؛ كما فعل بقتلة يحي و زكريا و شعيباً عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

-2النصر بغلبة الحجة والبرهان؛ وذلك كانتصار إبراهيم بحجته على قومه.

-3النصر بإنزال عقوبة الاستئصال أو غيرها من العقوبات الكونية؛ مثل عقابه لقوم نوح وصالح عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وغيرهم.

-4النصر بنجاة المؤمنين من كيد أعدائهم وسلامتهم من شرورهم

؛كانتصار إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بنجاته من النار التي أججها قومه لحرقه.
-5النصر بانتصار وانتشار فكرة الداعي باستشهاده في سبيل الله؛ كالنصر الذي ظفر به غلام أصحاب الأخدود مع سقوطه شهيداً على يد عدوه الملك الذي رماه بسهم من كنانة الغلام نفسه وقال كما ذكر له الغلام نفسه:باسم الله رب الغلام فرماه فأصابه.
-6النصر بإحباط الله لخطط الأعداء ،وعدم تمكينهم من التغلب على قوة المسلمين، وبقاء المسلمين متمسكين بدينهم، رغم ضراوة الحرب ضدهم.
-7النصر بظهور الحق على الباطل، واعتراف أنصار الباطل في نفوسهم ، بأنهم مبطلون وبأن خصومهم الدعاة هم المحقون([29]) .
إلى غير ذلك من صور النصر التي نسأل الله أن يحققها للأمة اليوم ، ،وأن يرفع عنها هذه الكربة ويصلح حالها إنه ولي ذلك والقادر عليه.
الخاتمة
مما سبق يتبين :
-1أن سنة الله في ابتلاء عباده سنة جارية وماضية، لا تحيد عن أحد من البشر، فرداً أو جماعة،مسلماً أو كافراً.
-2ظهرت شدة التركيز والخطاب للمؤمنين بحتمية هذه السنة، وأنها سنة الله في الأمم السابقة واللاحقة ،إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كل هذا؛ لأن المؤمنين هم الذين يستفيدون من ذلك لإيمانهم بالله ، واحتسابهم الأجر منه سبحانه،لا أنهم فقط هم الذين تجري عليهم سنته هذه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛بل إن هذه السنة عامة بدليل قوله تعالى(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه).([30])

-3عدم الاغترار بزينة الدنيا الفانية.
-4لا مقارنة بين دار الدنيا ودار الآخرة .
-5الميزان الحقيقي للفوقية،وإن المؤمنين ينالون الفوقية في الدارين الدنيا والآخرة.
-6السخرية هي دأب الكفرة وحالهم مع الصالحين.
-7يرزق الله من يشاء من عباده بغير حساب.
-8الأصل في الخلق الاسلام ..
-9نصر الله قريب ،وكلما ضاقت فالفرج قريب ولله في ابتلائه وتقديره حكمة.

المراجع

1. https://vb.tafsir.net/tafsir31385/#.XByBKb9R1dj
2. https://www.alukah.net/sharia/0/85386/
3. https://www.alukah.net/sharia/0/120189/
4. https://www.alukah.net/literature_language/0/69380/
5. https://vb.tafsir.net/tafsir24890/#.XByBK79R1dj

6. https://vb.tafsir.net/tafsir46788/#.XByBK79R1dj

.٧